قواعد
في المستقبل الفكري

دراسة قرآنية روائية علمية مقارنة في مستقبل فلسفة العلوم

القسم الأول

ميثاق طالب كاظم الظالمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى سيدتي فاطمة الزهراء عليها السلام ....

الى والدتي(رحمها الله تعالى وتغمدها نعيم جناته)...

أهدي ثواب هذا العمل

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

وبعد ...

قال امير المؤمنين عليه السلام في خطابه لأصحابه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَمْتَعُ سَلَامَةٍ ، وَأَجْمَعُ كَرَامَةٍ ، اصْطَفَى اللَّهُ مَنْهَجَهُ ، وَوَصَفَهُ وَوَصَفَ أَخْلَاقَهُ، وَوَصَلَ أَطْنَابَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حُكْمٍ ذِي حَلَاوَةٍ وَمَرَارَةٍ ، فَمَنْ طَهَّرَ بَاطِنَهُ رَأَى عَجَائِبَ مَنَاظِرِهِ فِي مَوَارِدِهِ وَمَصَادِرِهِ ، وَمَنْ فَطَنَ لِمَا بَطَنَ رَأَى مَكْنُونَ الْفِطَنِ وَعَجَائِبَ الْأَمْثَالِ وَالسُّنَنِ ، فَظَاهِرُهُ أَنِيقٌ ، وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، وَلَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ ، فِيهِ مَفَاتِيحُ الْكَلَامِ ، وَ

مَصَابِيحُ الظَّلَامِ ، لَا يُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِحِهِ ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ ، فِيهِ تَفْصِيلٌ وَتَوْصِيلٌ﴾[1] .

فهذه مجموعة قواعد في البناء الفكري والأعداد الذهني كتبها جناب الشيخ الاستاذ ميثاق الظالمي(دام توفيقه) مستخرجا إياها من آيات كتاب الله العظيم وكلمات أهل البيت الطاهرين (عليهم السلام) ويمكن ان نلتمس عدة فوائد لكتابتها:

اولا: الارتقاء بمستوى التفكير الأكاديمي المحدد بقوانين موروثة مكتسبة من تجارب ذهنية وحدس منبعث من روح المنطق المجرد ، لتلتقي مع أفق اوسع بمستويات التعقل .

ثانيا: هي محاولة لمعالجة امهات الأفكار التي بُنيت عليها الحضارة العلمية الحديثة وسد ثغراتها التي خلفت ورائها منظومة فراغية رُقعت في كثير من مفاصلها برموز مجردة ذات آثار محيرة لمن وضعها فضلا عمن تلقاها .

---

[1] بحار الانوار ج٣٠ باب١٦ فيما كتب(عليه السلام) الى أصحابه في ذلك تصريحا وتلويحا ص٢٦٧

ثالثا: تكميل للمحاولات البحثية التي صدرت من بعض الباحثين (جزاهم الله تعالى خيرا وسدد خطاهم) في حل بعض الإشكالات الصادرة من رموزهم العلمية والمستبطنة في طياتها لخدش العقيدة الدينية تارة وطعنها بقوة تارة اخرى ، اذ أن تلك المحاولات اقتصرت على مناقشة جزئيات الموضوع وهذه القواعد ناقشت كلياته او قل ان تلك المحاولات هي بحث في الصغرى بلحاظ محدودية موضوع العلم الذاتي وهذه بحث في الكبرى بلحاظ سعة موضوع علم الفلسفة ، فتكون محاولة تكميلية لا تجددية بعد ضم الصغرى الى الكبرى.

وهنا ألفت النظر الى ان تكون بحوثنا العلمية بحوثا ذات روح واحدة بروافد متعددة معطية بحصيلتها النهائية نتاجا من جهة واحدة لا جهات منفصلة وغير تكميلية احيانا او متضادة احيانا اخرى .

رابعا: الدخول في حقول علمية بقيت متروكة وغير مطورة لتسالم الذهن البشري عليها واعتبارها الكأس المقدسة التي ترتوي منها كل العلوم كفكرة الانتقال من العادي الى العلمي او الحس المشترك وغيرها مما سياتي مناقشته في هذه القواعد .

خامسا: الارتقاء نسبيا بمستوى الطرح العقائدي التقليدي والمقتصر في كثير من منهجياته الفكرية على معالجة مفاهيم كتبت لأجيال قديمة وان كانت حاملة لروح ابداعية فذة وفكر خلاب الا ان مادتها العلمية بحاجة الى تطوير بما يتلائم مع متطلبات العصر والمناهج الفكرية الشمولية الحديثة .

سادسا: الدمج بين اتجاهين في التفكير يندر التقائهما الاول الاتجاه القرآني والروائي والثاني العلمي المجرد بطريقة فلسفية ذات مستوى ذهني لا يخلوا من عمق في الاستنباط ودقة في الالقاء.

سابعا: هي محاولة للارتقاء بمستوى الخطاب الديني وشموليته عالميا ليخرج من حدوده الضيقة الى فضاء اوسع ومن لغته المحلية المحدودة الى لغة اتساعيه تتلائم مع الفكر البشري اينما وجد.

هذا بعض ما ادركه تفكيري من هذه القواعد التي هي قراءة محصورة بفهمي وثقافتي وقد طلب مني الشيخ الاستاذ ميثاق الظالمي (دام توفيقه) ان اطبع هذه القواعد فأحببت اضافة هذا التقديم عسى ان ينتفع به القارئ الكريم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

حاتم الحسناوي

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

وبعد ...

تلطف الله تبارك وتعالى على هذا العبد الجاني على نفسه القاصر بتفكيره الجاهل في علمه لكتابة حلقة أخرى من سلسلة ﴿القرآن والحكمة﴾ تدرس(بطريقة المحاولة الاستنباطية المقارنة) اتجاهين من التفكير(الفلسفي العلمي ـ الحكمي القرآني)فحثني الله تعالى برحمته وعظيم لطفه لكتابة اربعة قواعد فقط إذ انقطعت عن كتابتها بسب شدة مرض والدتي وإقتراب أجلها في ١٢ رمضان ثم التحاقها بالرفيق الاعلى (رحمها الله تعالى) في ليلة ١٥ رمضان لنفس السنة .

وقد تكفل بعض اخوتي (جزاه الله تعالى خيرا) لطباعتها واخراجها بهذه الصورة.

وسأكتفي باختصار المقدمة كما هي عادتي تاركا افكار القسم الاول من هذه القواعد بين يدي القارئ الكريم يفهمها ويستوعبها بحسب ثقافته ودرجة تفكيره وعمقه الذهني لتكون محاولة بسيطة ومتواضعة لرسم معالم المستقبل الذهني في فلسفة العلم ولهذا الغرض اسميناها ﴿قواعد في المستقبل الفكري﴾.

وهي نموذج مطروح لقراءة مضمونية في فكر احد فلاسفة العلم وهو (رولان اومنيس)[١] ومناقشتها جوهريا وقد استعملت اسلوب القراءة العامة في فلسفته بدلا من اسلوب العبارات التقطيعية لأسباب بحثية وعلمية كما اني اكتفيت بالعرض المجمل لأفكاره ثم ذكر اصل المشكلة مع محاولة وضع البديل الاصح والادق علميا لحل عقدها وكشف غموضها .

---

[١] رولان أومنيس . استاذ في الفيزياء النظرية بكلية العلوم في جامعة باريس وهو من ابرز علماء فيزياء الكوانتم وله جهود مؤثرة في تطويرها وهو فيلسوف علم معني برفع لواء الواقعية وتوافق الحس المشترك مع فلسفة العلم المعاصره والمستقبلية .

وهذا النموذج يعكس جزئيا الفكر العام في فلسفة العلم الغربي .

لهذا فان النتائج المتحصلة من هذه القواعد هي عامة بلحاظ كليات قوانينها المبحُوثة وخاصة بلحاظ دراستها لهذا النموذج، اساله تعالى ان يتقبله خالصا لوجهه الكريم.

ميثاق طالب كاظم الظالمي

٢١/ذو الحجة ١٤٣٣

توطئة

قد يعتقد من يقرأ صفحات هذا الكتاب انه يقرأ في فلسفة فارغة وقديمة لا تجدي نفعا للفكر البشري وافكارا ليست سوى تنظير علمي لا يحتاجه الانسان في حياته الفكرية والثقافية.

والتقييم بهذا المقدار تقييما خاليا من الدقة والتأني للنتائج المتحصلة من هذا الكتاب في قسمه الاول ، إذ أن ما بُنيت عليه العلوم اليوم هو افكار وتصورات ارتقت الى مستوى القطع واليقين فصارت الحجر الاساس لبناء العلوم بكافة تفريعاتها وأضحت لغة الرياضيات هي اللغة الحاكمة وهي الرموز الملغزة والحاكية بطريقة مُبهمة لتلك الفلسفات والافكار.

فوجد الانسان نفسه محكوما بتلك الرموز والقوانين بعد ان أوجدها ، وصارت نتاجات العلوم المنطقية والفلسفية والرياضية منها خاصة هي العين التي يرى من خلالها حقيقة الوجود.

وسيجد القارئ الكريم في هذه الصفحات ان هنالك فجوة كبيرة ومنطقة فراغ فكري هائلة ولدت مع هذا الاسلوب من التفكير وتوسعت منذ أن اتخذ الفكر الانساني هذه الانطلاقة.

وبذلك دخلت العلوم المعاصرة في اسئلة محيرة واستفهامات صارت اليوم من أكبر الالغاز وبدأ الانسان يُوجد لنفسه مخرجا مما دخل فيه لا برجوعه الى نقطة الاصل واعادة النظر فيها بل بإكمال الطريق الى حيث وصل وايجاد وابتكار نظريات جديدة متممة بأسلوب ترقيعي لما ورثه من النقص الهائل فيها وما مرت به الفيزياء بالذات من رائدها الاول (اسحاق نيوتن) ثم معالجتها بنسبية (انشتين) ثم ادخالها في منطقة التناقض والتضاد بالخيال الرياضي لميكانيكا الكم ثم محاولة رسم صورة عقلية في اللامنطق الفيزيائي واصطدامه بالظواهر الفيزيائية المحيرة كلغز (التعالق) الا مثالا استقرائيا واضحا لما ورثناه من نقص ومنطق الترقيع .

وبالتالي سيكون هذا الكتاب بقسمه الاول محاولة لإدخال متغيرات مهمه وجوهرية كانت ولا زالت مهملة بل يعتبرون ان من يحاول ادخالها كمتغير اساسي في فهم العلم جاهلا ومفتقدا لكثير من مقومات المعرفة حتى صار هنالك اتجاه جديد يجعل الكلام في مفاهيم معينة كلاما علميا والكلام في مفاهيم اخرى كلاما دينيا ، وهي محاولة خطرة تضر بالاتجاهين العلمي من جهة باعتبار تغاضيه عن دراسة تلك المتغيرات الجوهرية ، والديني باعتبار اقصائها عن لغة العلم والمباحث العلمية وحصر تلك المفاهيم والمتغيرات بطقوس دينية يرددها رجال الدين في مواعظهم وارشاداتهم ، وهذا من اهم ما دعى الى كتابة هذه الدراسة.

القاعدة الأولى

توسيع الطبيعة الذهنية

منبع التطبيقات الدلالية للكليات

توسيع الطبيعة الذهنية منبع التطبيقات الدلالية للكليات

بداية نبدأ بطرح سؤال: ما طبيعة الكليات (universal) مثل (إنسان،حيوان،روح)؟

وهو ما ينطبق على كثير،وتسعى الفلسفة من خلال دراسة ما يسمى(الاسمية ـ الواقعية) (nominalisim real lism) أن تتقدم خطوة في المعرفة عن طريق التحليل المنطوي على استعمال مُركز للكلمات .

وقد كان هذا النمط سائدا في الطبيعة الفكرية في أزمنة سابقة ، وهذا الأساس يستمر إلى ما بعده حتى بعد توسع الإدراكات الإنسانية لتأخذ تلك الدراسة توسعا أعمق من خلال قيمة اللغة من حيث هي وسيلة لإحراز الحقيقة.

أو تطرح بفكرة مفادها (يرجع الى أسس فلسفة المعرفة) فكانت النتائج المُتحصلة من نفس طبيعة الفكر الإنساني المائل إلى الطبيعة الاعتدالية غالبا إلى التعاطي مع (الاسمية ـ الواقعية) بما يسمى بـ (التأمثل) تبعا للواقع المتاح والسعة

الوجودية للبشر (ولأن غرض الفلسفة) خدمة أسس اللاهوت (كما ذكر ذلك بعض فلاسفتهم) صار ذلك التأمثل صورة متضمنة لجانب من الواقع العلوي بما يمتلكه من سلطة الاصطفاء للمعايير والحدود ...

وهذه المقدمة المضغوطة هي البداية لإثارة سؤال:

ما هي عناصر جامعية القوانين الكلية الاصطفائية المنطقية ذات الأسس الفلسفية مع حقيقة الكليات ذات الطبيعة التكاملية التجردية؟

وفكرة الحاجز الشفاف بين الإنسان المنطقي والانسان صاحب الرؤية الشمولية للحقيقة ، وهذا من الأبعاد الانتقالية إلى بؤرة نظام الطبيعة الحاضر والقابع في أصول التطبيقات العلمية القرآنية {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[1] والتطبيقات الدلالية للكليات أو ما يسمى(السيمانطيقية).

---

[1] التوبة ١٠٥

وهذا السؤال وان كان اخذا لطبيعة تجددية في طرحه والمقصود منه طرح إثارات فكرية ذات بعد عملي إلا أن أسسه حسمت في الفلسفة الإسلامية .

يقول صدر المتألهين (قدس سره)(انه لا ينبغي للحكيم أن يكتفي بالاستدلال العقلي المحض للوصول إلى الحقائق العلمية وخصوصاً في المعارف الإلهية . بل الجهد الفكري للإنسان كما يستطيع الوصول إلى القواعد الكلّية الفلسفية من خلال القياسات المنطقية كذلك يستطيع الوصول إلى الحقائق والمعارف من خلال نمط آخر من الجهد الإنساني)[1] .

فهل ان الجواب للسؤال المطروح:

ما هي القاعدة الذهنية فيما لو بدت الأشياء حقيقية وواقعية كما ندركها فعلا ؟هو اخذها كما هي مع ايجاد قوانينها الحاكمة؟

[1] مجموعة مقالات للسيد محمد حسين الطباطبائي ج٢ ص٥ .

أم أن الاتجاه الصحيح لتلك الطبيعة الذهنية هو انها غير مقبولة بدرجتها الأولية وان الروح العلمية باعثة الى روح أخرى من التطبيقات الدلالية للكليات وهي نابعة من لابدية

اختلاف الصور (الذي لا مجال للدخول في تفصيله) فصارت الحاجة ملحة لفرض طبيعة صورية تعكس شيئا من رشحات التجرد والواقعية .

ولا نريد أن ندخل هنا في سرد تاريخي لمخاض العلم وما نتج منه من أن الطبيعة الجسمانية الخالية من الحياة يمكن تحريكها بقوانين علوية وان كانت تلك القوانين لها قواعد اتساعية في تجربتها وشمولها إلا أن فهم مغزاها العميق متعذر يقول احد فلاسفة العلم(إن مثل هذه القواعد لهي قواعد تجريبية بمعنى ما لأننا نقبلها من دون أن نفهم مغزاها العميق)[1].

العميق)[1].

[1] فلسفة الكوانتم ص٥٩

فيثار هنا سؤال فرعي مفاده:

إن عدم فهم المغزى العميق لتلك القوانين هل يتقاطع مع تكيفها ؟

وفلاسفة العلم يُجيبون :

إن التكيف والاتساق مقطوع به تقريبا وأصول علم الميكانيكا ببساطتها تجيب على هذا السؤال فهي تتفق مع الحدس وتكمله وتتممه، فأوجد ما يسمى بنزعة التواصل بين العلمي والعادي،وهنا نسأل:

هل استطاع العلم بفلسفته أن يجيب على حقيقة السؤال المذكور، ما هي القاعدة الذهنية فيما لو بدت الأشياء حقيقة واقعية كما ندركها فعلا ؟

والجواب العلمي الفلسفي المستمد من طيات افكارهم:

إن هنالك تواصلا بين العادي والعلمي وان الخبرات اليومية والحدس المُندك في داخلنا كافي في إيجاد ذلك التواصل .

اللب كحقيقة قرآنية ونزعة التواصل بين العلمي والعادي

من المشاكل التي طرحت مؤخرا في الأندية العلمية هي محاولات لاستعادة التواصل بين الحس المشترك والواقع وبين الحقائق العلمية.

وهذا التواصل وان كان غالبا منحصرا في عقول محدودة إلا أن الطبيعة الإنسانية غالبا ما تفتقده.

والقرآن الكريم بحقائقه العالية ومضامينه الرفيعة قاد الإنسان إلى تفعيل الحس المشترك ليلتقط جواهر العلم فذكر في عدة مواضع مفهوم اللب وهو حقيقة الأمر المستور أو أولي الألباب وهم المستخرجون لحقيقة الأمر المستور وفيما يلي دراسة دلالية لحقيقة هذا المفهوم وما يعكسه على خلال فلسفة العلم من جهتين قرآنية وروائية.

الجهة الاولى:

في ذكر بعض الآيات القرآنية

أولا: قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1] والقرآن الكريم إنما ينظر للب بأكثر من منظار:

المنظار الأول:

انه يُوقظ الحس المشترك بشدة فإيقاظه يعني فتح بوابة الالتقاط العلمي.

إذ القصاص كجزاء لفعل مستقل متضمن للشد الانفعالي الحسي والنفسي وهو بداية حركة اللب.

المنظار الثاني:

إن الحس المشترك (العادي) في المنظور القرآني ليس هو الحس السلبي القاتل لروح الإبداع بل هو الحس المولد للحياة وهذه النتيجة بذاتها تظهر فارقا جذريا بين إيجاد علاقة

[1] البقرة١٧٩

تواصلية بين العادي والعلمي مجردة ،والنظر للتواصل بما هو تواصل وبين التواصل المولد للحياة خاصة.

المنظار الثالث:

ان فلسفة علم التواصل بين العادي والعلمي يمكن اشتقاقها من خبرات الحياة اليومية الروتينية والعادية جدا كما ظهر في اصول الميكانيكيا الكلاسيكية غير تام بعدما بين القرآن ان ذلك التواصل المولد للحياة يقع في امور غير عادية .

وقد يثار هنا سؤال مفاده:

ان كثير من اصول الميكانيكيا ظهرت فعلا من هذه الخبرات والروتين العادي جدا .

وكمثال لذلك نصوغ فكرة القوة فالمفهوم ماثل امام الفكر البشري منذ اقدم العصور وان كل شخص يعرف ما يبذله لرفع وزن وجوابه:

ان الاكتفاء بهذا المقدار من النظر والتحليل غير كافٍ فالقوة كظهور من مصادرها صارت امرا عاديا رتيبا غير ان تحليلها ليست كذلك فان التوصيف المكتمل لها يأتي بواسطة

المقدار ، الاتجاه ، ونقطة التأثير ، لان هذه العوامل المساعدة هي فقط تدخل في قوانين التوازن وهو معروف للمتخصصين.

المنظار الرابع:

ان فكرة (اولي الالباب) قرآنيا توحي ان التواصل بين العادي والعلمي واقع متضمن حادث تكوينا لمستخرجي الحقائق العلمية في ظهورها العادي وليس هو خلق تواصل فالتواصل متحقق في مرتبة اولية قبله والمطلوب ذهنيا توفر ذلك التواصل ليفتح آفاقا بين عوالم اخرى في عالم الحس المشترك والعالم العلمي كفتح الآفاق بين العالم العلوي واللاهوتي والعالم النفسي البشري{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}فأوجد تواصلا جديدا بين العالم العلوي والعالم النفسي وهو ما تريده الفلسفة من غرضها الاولي كخادمة لأُسس اللاهوت (كما ذكروا في فلسفتهم) او تجسيد للتطبيقات العلمية الدلالية للكليات (السيمانطيقية) قال تعالى {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ}[1] .

---

[1] الزمر١٨

ثانيا: قال تعالى ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[1] وهذه الآية حصرت التذكر بأولي الالباب دون غيرهم .

وهذا التذكر راجع الى حقيقتهم ومقدار استخراجهم لحقائق الامر المستور فالآية لم تكتف بالتواصل بين العادي والعلمي من جهة ولا الاكتفاء بفتح آفاق بين العالم العلوي والعالم النفسي(بالتقوى)بل التذكر ونقصد به (ارجاع كلية القوانين الى امر واحد)وهو اعمق مما تعطيه النظرة الاولية للطبيعة الجسمانية المحركة بقوانين علوية والذي يقر الاتجاه الفلسفي العلمي بقبولها من دون فهم مغزاها العميق قال تعالى ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[2] وقال تعالى﴿وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[3] وسنتكلم عن رؤية ارجاع القوانين الكلية الى امر واحد انشاء الله تعالى.

---

[1] البقرة٢٦٩

[2] آل عمران٧

[3] إبراهيم٥٢

ثالثا: قال تعالى ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[1] وهذا التأسيس القرآني يرسم الخطوط العامة لإيجاد التواصل للحس المشترك مع العوالم العلمية والعلوية وارجاع كليات القوانين الى امر واحد فان الموجد للتواصل في فلسفة العلوم هو المنطق الموضوعي والمنطق التجريبي الذي انبثق منه العلم الصوري(وسياتي الكلام عنه مفصلا في محاضرات لاحقة انشاء الله تعالى) لكنهم لا يدركون الى الآن كيف يمكن لأحد ان يراه رغم قبولهم بنتائجه وكان لعلم الأستاتيكيا والديناميكيا(static and dynamic) **الانطلاقة الاولى** لتعاطي المنطق مع الدليل. وأثاروا سؤالا غريبا:

وهل يمكن ان يكون ذلك العلم الصوري مخادعا ؟

فقد كانت تفسر حركة السهم المنطلق في الهواء بشكل ملاك يبذل هذه القوى وهذا الحل يظهر في أكثر من مجال كظهوره في نفي الأثير وبعض الخصائص الملغزة في نظرية مجال الكوانتم والآية القرآنية ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ أسست

---

[1] ص٢٩

لمبدأ (التدبر في الآيات) وقوله تعالى﴿آيَاتِهِ﴾بضمير الغائب قد يجيب على سؤال مهم ذهنيا ومعنويا مفاده:

كيف يكون الانسان من اولي الالباب ؟

والجواب: قال الله تعالى ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[1] فالمثل ومعيته لنا هو القوى الباعثة لأولي الالباب فالخطاب الالهي تنوع بقوله ﴿الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[4] ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[5] ودمجها مع قوله تعالى ﴿لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾[6] يظهر أن أولي الالباب هو ظهور الانسان بالصفة التي اختاره الله تعالى لها فهو السامع والمتفكر والعاقل والمؤمن وهو عين لكل هذه فإذا صار كذلك صار منبعا للقرآن وصار منبعا لكليات القوانين .

---

[1] ص٤٣

[2] البقرة٢١٩

[3] البقرة١٦٤

[4] يونس٦٧

[5] الأنعام٩٩

[6] آل عمران١٩٠

الجهة الثانية

في بعض الروايات المؤيدة

أولا: عن ابْنُ الْوَلِيدِ عَنِ الصَّفَّارِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام﴿قَالَ دِعَامَةُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ وَمِنَ الْعَقْلِ الْفِطْنَةُ وَ الْفَهْمُ وَالْحِفْظُ وَالْعِلْمُ فَإِذَا كَانَ تَأْيِيدُ عَقْلِهِ مِنَ النُّورِ كَانَ عَالِماً حَافِظاً زَكِيّاً فَطِناً فَهِماً وَ بِالْعَقْلِ يَكْمُلُ وَ هُوَ دَلِيلُهُ وَ مُبْصِرُهُ ﴿مُبْصَرُهُ﴾ وَ مِفْتَاحُ أَمْرِهِ﴾[1].

وقوله (عليه السلام) ﴿فَإِذَا كَانَ تَأْيِيدُ عَقْلِهِ مِنَ النُّورِ﴾ قد يكون فيه إشارة الى ما ذكرناه(لايجاد تواصل الحس المشترك مع العوالم العلمية والعلوية وإرجاع كليات القوانين الى امر واحد) بعد اعتبار أن النور ينبثق من جوهر اللب.

ثانيا: وورد عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَاصِمِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا (عليه السلام) قَالَ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَصْحَابُنَا وَذُكِرَ الْعَقْلُ قَالَ

---

[1] بحار الأنوار ج ١ باب ١ ص ٨١

فَقَالَ (عليه السلام) ﴿لَا يُعْبَأُ بِأَهْلِ الدِّينِ مِمَّنْ لَا عَقْلَ لَهُ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ مِمَّنْ يَصِفُ هَذَا الْأَمْرَ قَوْماً لَا بَأْسَ بِهِمْ عِنْدَنَا وَ لَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْعُقُولُ فَقَالَ لَيْسَ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ خَاطَبَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ فَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ وَقَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ فَقَالَ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْكَ أَوْ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ بِكَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي﴾[1] و﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ذُكروا بنحو تمامية عقولهم وانتهائها الى صورة عملية .

ثالثا: ما ورد عن الصَّادِقُ (عليه السلام) ﴿الْجَهْلُ صُورَةٌ رُكِّبَتْ فِي بَنِي آدَمَ إِقْبَالُهَا ظُلْمَةٌ وَ إِدْبَارُهَا نُورٌ وَ الْعَبْدُ مُتَقَلِّبٌ مَعَهَا كَتَقَلُّبِ الظِّلِّ مَعَ الشَّمْسِ أَلَا تَرَى إِلَى الْإِنْسَانِ تَارَةً تَجِدُهُ جَاهِلًا بِخِصَالِ نَفْسِهِ حَامِداً لَهَا عَارِفاً بِعَيْبِهَا فِي غَيْرِهِ سَاخِطاً وَ تَارَةً تَجِدُهُ عَالِماً بِطِبَاعِهِ سَاخِطاً لَهَا حَامِداً لَهَا فِي غَيْرِهِ فَهُوَ مُتَقَلِّبٌ بَيْنَ الْعِصْمَةِ وَ الْخِذْلَانِ فَإِنْ قَابَلَتْهُ الْعِصْمَةُ أَصَابَ وَ إِنْ قَابَلَهُ الْخِذْلَانُ أَخْطَأَ وَ مِفْتَاحُ الْجَهْلِ الرِّضَا وَ الِاعْتِقَادُ بِهِ وَمِفْتَاحُ الْعِلْمِ الِاسْتِبْدَالُ مَعَ إِصَابَةِ مُوَافَقَةِ التَّوْفِيقِ﴾[2] .

---

[1] الكافي ج١ ص ٢٠

[2] بحار الأنوار ج١ باب١ ص٨٣

أقول:

بغض النظر عن دراسة مفردات الرواية ومضامينها مفصلا نكتفي بالإشارة الى ما ورد في ذيلها وهو يشير الى ما ذكرناه من تنوع الآيات وظهور الإنسان بالصفة التي اختارها الله تعالى فهو بقوله(عليه السلام)(وَمِفْتَاحُ الْعِلْمِ الِاسْتِبْدَالُ مَعَ إِصَابَةِ مُوَافَقَةِ التَّوْفِيقِ) قد ذكر(عليه السلام) المزيج المشترك للعلم والاستبدال واصابة التوفيق ... فتدبر .

القاعدة الثانية

العلم الشديد نتاج الحركة الى الوجه المطلق

العلم الشديد نتاج الحركة الى الوجه المطلق

يقول بول فييرآ بند (feyeara bend)[1] وهو فيلسوف علم أمريكي من أصل نمساوي (ذو فلسفة أثارت جدلا صاخبا) له كتاب اسمه (ضد المنهج) حيث يؤكد أن السؤال عن المنهج سؤال زائف اصلا لأن العلم لم يكن ابد اسير منهج واحد محدد بل هو مشروع فوضوي بمعنى انه لا يعترف باي سلطة وكل المناهج يمكن ان تجدي فيه .

أقول:

وربما بلغ رفض المنهج أوجه وقيمته العليا عند بول فييرآ بند بعد ان كان موجودا بين العلماء كأمر فطري يظهر عندهم وهو (عدم الامانة) أو نسميه بمعنى ادق (الشك الايجابي)وفكرة (الشك الايجابي) وإن ارجعها فلاسفة العلم الى امر فطري فطر عليه العلماء انتج عدم الامانة (كما يسمونه)الا انه في تصورنا امر طبيعي بعد تضييع الانسان

---

[1] بول فييرآ بند (feyeara bend) (١٩٢٣ - ١٩٩٤) تجد ترجمته في آخر الكتاب ص

للمنهج المطلق مما حداه الى استخلاص منهجا محددا بذاته حُكم عليه (بعدم الامانة الفطري) تحت وطأة (الشك الايجابي) .

ولو أخذنا نموذجا علميا واحدا عبر فترة زمنية محددة نجد ظهوره جليا فيما ذكرناه فأن دراسة فلسفية لمفهوم الجاذبية واحتساب القوة بين جسمين باستعمال قانونين من قوانين كبلر ((وهذا القانون لا يخلو من منهج (التواصل بين العادي ـ العلمي)) نجد انه كان مفعما بشكل من اشكال الحس والتردد ويقع سر التردد بعد اصابة الحدس للانتقال والتواصل بسؤال محير أطلقه مؤسس القانون نفسه في كتابه (المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية) مؤداه انه كيف يقع التأثير بين جسمين يفصل بينهما (فراغ كامل) كيف يمكن للفراغ (للخواء الكامل) ان يتحمل هذه القوة وهذا واحد من التحديات التي واجهت التواصل بين (العادي والعلمي) فالحس المشترك لا يجد تقييدا للمساواة بين لا شيئية الفراغ وبين وجود القوة ويترك السؤال علميا هكذا حتى يولد له تفسير آخر في حقبة زمنية لاحقة لتدرس المرتكزات التي تعتمد عليها القوى

المفترضة لتفترض فرضا آخر ترتقي باعتمادها في لحظة صورتها فقط على المسافة بين الجسمين الفاصل بينهما ذلك الفراغ وكأن مصدر نشوء القوة يتضمن في داخله على درجة من الادراك اللحظي بموقع الجسم الآخر ليحدد ارتباطه بالمصدر ولا نريد هنا ان نفرض حالة علمية معينة (تترك للمتخصصين) بقدر ما نريد ان نثير مبررا موضوعيا لمنشأ الشك الايجابي (وأحيانا السلبي) في النفس الانسانية اتجاه الخطوات العلمية المتعثرة تاركة اثارها بشكل خزين تجريبي ينقله بلا وعي الى اتجاه بديل علمي يسد ثغرا ليفتح ثغرا آخر لم يكن موجودا وهكذا ...

يقول احد فلاسفة العلم (وكأمر واقع فأنهم من دون ان يدركوها فعلا كانوا يتحولون بلا وعي من العلم الحدسي حيث يكون كل شيء مرئيا ومتفقا مع الحس المشترك ليتوجهوا صوب علم ينطوي على عناصر صورية في صلبها غامضة غير مفهومة) .

المشكلة تكمن في قراءة منتصف المعادلة الوجودية فقط

ولنحاول ان نلقي الضوء على فلسفة التحول في (المنهج العلمي) ليصل الى ذروته في فكرة(ضد المنهج) ولتبلغ اوجها في الاعتقاد بالصدفة وهي ردة فعل شديدة لتبني منهج مقبول بحل جذري لمبدأ(عدم الامانة الفطرية)وفي تصورنا فان قراءة معادلة ما لا يعطي تصورا واضحا لها فيما لو نظر الى منتصفها فقط او أحد طرفيها ولو تدبرنا في فكرة الحدس والحدس المشترك (العادي ـ العلمي) والقوة بين جسمين نجد انها تشترك بحدود قراءة المعادلة وانها ناظرة الى منتصف المعادلة فمن كلام الامام امير المؤمنين عليه السلام﴿رحم الله امرأ اعد لنفسه واستعد لرمسه وعلم من اين وفي اين والى اين﴾[1] والظاهر الملتقط من بعض جواهر كلامه(عليه السلام):

[1] الحكمة المتعالية ج١ ص ٤٩ .

أولا: ان تقطيع الرؤية الكونية غير مقبول بعيدا عن اهم موجود فيها وهو الانسان بقوله﴿اعد لنفسه واستعد لرمسه﴾.

ثانيا: ان الرؤية الكونية ليست فقط مفتقرة للإنسان بل ان وضوحها لا يتم الا منه كبداية وان المناهج المقترحة فكريا كالعادي ـ العلمي والحس المشترك تجردت عن اخذ هذا المتغير المهم والمرتكز الاساسي لصحة قراءتها.

ثالثا: ان فكرة الاعداد المذكورة في كلامه (عليه السلام)بقوله عليه السلام ﴿أعد،أستعد﴾ يمكن تصور انعكاساتها النفسانية والفتح المهم في المحتوى الداخلي للإنسان وقد ذكرنا في كلمات لنا سابقة ان القرآن يؤسس لفتح منافذ علمية في النفس الانسانية بسبل معينة يسلكها﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[1] او غلق تلك المنافذ بطرق يتخذها﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء﴾[2] .

رابعا: أننا اعتبرنا ان المشكلة تكمن في قراءة منتصف المعادلة (أقتباسا) من كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) ونقصد بذلك

[1] العنكبوت٦٩

[2] الأعراف٤٠

المقطع القائل فيه (عليه السلام)﴿في اين﴾ ونقدمه كأطروحة للمشكلة المذكورة {أن الاكتفاء به قد يكون هو العلة الاولى للمشكلة}فتحرير اصل المشكلة باتخاذ منهج محدد وإن كل ما عندنا تخمينا راجع في تصورنا الى التعاطي بجزئية بحثية رغم شمولية الرؤية الكونية في حقيقتها العلمية والتي تفترض الاستعانة بكل معلوم موصل الى ذلك المجهول العميق .

فكرة الوجه المطلق وأثرها في تصحيح المنهج

ذُكر الوجه ووجه الله تحديدا مع اختلاف التعابير بلحاظ اختلاف المتعلق في القرآن الكريم وذُكر الوجه والوجهة التي يتحرك لها البشر وقبل ان نرى الاثر المفاهيمي للقرآن الكريم في تصحيح المنهج العلمي لنسلط الضوء على هذا المفهوم ونكتفي بذكر بعض الآيات المخصوصة التي تتحدث عن الوجه بحسب متعلقه الدال على مفهوم الهي.

قال تعالى ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[1] ويفهم منها ان الوجه له سمة البقاء وعدم الزوال وهو دال على وجوده السابق مطلقا وعدم تأثره والجلال في الآية يوحي ببهائه وسطوته على كل شيء والاكرام دال على العطاء فيه.

وقال تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2] وهي تعطي تأكيدا لشدة بقائه وقوة وجوده المتجرد عن كل وجود الذي يهلك الاشياء ولا يهلك ويغيب في ظهورها ويظهر بهلاكها .

وبعضها تحدثت عن وجهه تبارك وتعالى بلحاظ علاقته مع الانسان منها:

قال تعالى ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾[3] وتدل على ان وجهه تبارك وتعالى يظهر بحركة الانسان اضطرارا حتى لو تولى عنه وفي أي مسلك يتخذه او جهة يختارها وقد تكون هذه الآية مفسرة لاضمحلال المناهج

---

[1] الرحمن٢٧

[2] القصص٨٨

[3] البقرة١١٥

المتخذة من دونه تبارك وتعالى وتؤكد ان الحركة المتعمدة بعيدا عن المنهج الصحيح ستصدم بشيء اسسته الآية القرآنية ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾(ليتوجهوا صوب علم ينطوي على عناصر صورية في صلبها غامضة غير مفهومة في محتواها).

ومنها: ما يستخلص الصبر والتحمل على النتائج التفرد بمنهج محدد له رؤية شمولية واسعة قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[2] وان الانسان من حيث لا يشعر يطلبه وان تعددت التقسيمات وان صنف المناهج المتخذة للوصول للحقيقة فأنها بالنتيجة ستواجه الحركة اللاشعورية لحقيقة اعلى منها ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾[3] .

ومنها: ما أعطت اثرا ايجابيا واضحا لمن تمسك به قال تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[4]

---

[1] الرعد٢٢

[2] الكهف٢٨

[3] الليل١٩،٢٠

[4] البقرة١١٢

وأقدم هنا فهما كأطروحة حاصله أن قوله ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ أي جزاءً عند حقيقة او قل بعبارة اخرى اثرا تصحيحيا في ما تبناه .

ومنها: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[1] وهي واضحة في نفي ما أدعي من نفي المنهج او فكرة المشروع الفوضوي المطروحة او عدم الاعتراف باي سلطة وان القرآن يؤكد ان الشك السلبي او الوسواس لا مجال لها مع منهج ينطلق من تسليم الانسان عقله الى الحقائق العليا لا يقتصر على عقل الانسان بل يمتد الى روحه﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾وأقدم هنا فكرة مفادها:

ان الكلام قد يوحي (بعدم العلمية) وماذا يعني ان نسلم وجهنا الى الله تعالى وما اريد ان اذكره هنا ملخصا(وسياتي الكلام فيه تفصيلا انشاء الله تعالى).

ان القرآن بصدد الكلام عن الانطلاقة العلمية الاولى وفتح مسالك العلم في النفس والتي لا تفتح الا بالتسليم الى حقيقة الوجه المطلق يقول السيد الشهيد الصدر الاول(قدس

---

[1] لقمان٢٢

سره)(لأن مشكلة الضياع تعني بالنسبة الى الانسان انه صيرورة مستمرة تائهة لا تنتمي الى مطلق يسند اليه الانسان نفسه في مسيرته الشاقة الطويلة المدى ... فالتحرك الضائع بدون مطلق تحرك عشوائي كريشة في مهب الريح تنفعل بالعوامل من حولها ولا تؤثر فيها)[١].

أطروحة سعة وجه الله تحده أفكارنا

وما أود ذكره هنا بعد ذكرنا لتقطيع الرؤية الكونية في المنهج المتبع عدة امور :

الامر الاول: شبهة مفادها ان تقطيع الرؤية الكونية يعطي نتائج كما يحصل حاليا في دراسة العلوم على انواعها فلو فرضنا بحسب الدعوى عدم تماميتها فكيف لازمها ظهور النتائج بهذا المستوى الرفيع .

[١] الفتاوي الواضحة للسيد محمد باقر الصدر(قدس سره) ص٧٥٣

أقول: ان النتائج المتحصلة ناقصة غالبا وتدخل الانسان في الغاز اكبر،وما ذكرناه من التخلص من المنهج الحدسي والحسي المشترك الى الصورية الملغزة غير المفهومة (وهو ما عليه العلم اليوم)كافي في ذلك فتدبر ...

الامر الثاني: ان تحديد فكرهم بأسئلة انطلقت من حدود الفكر البسيط عبروا عنها (بالعادي)للتوصل الى العلمي او لقوى بين جسمين يمكن ان نعتبره هو السر في فتح آفاق اوسع تعقيدا فحلول بعض المعادلات المعقدة واجراء بعض التحويلات وحساب بعض المقادير يمكن ان نفهمه كنتاج لذلك التحديد في الرؤية الكونية ولا ندري لو توسعت رؤيتنا هل سنصل الى كل هذا وهل بقيت هناك الغاز في العلم؟

الامر الثالث: يمكن القول (بعد ما قدمناه) ان العلم الاتم والاشد يكون من خلال الرسوخ في العلم والطمأنينة في المعرفة لتنفتح عين قلبه ويهجم به العلم على حقائق الامور

ويباشر روح اليقين ويستلين ما استوعره المترفون ويانس بما يستوحش منه الجاهلون[1] يتسع عنده وجه الله بحبه ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] وكما ذكرنا﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ ﴾[3] وأهم الصبر ، ان تصبر على الرؤية الكونية الشمولية والتي لا يتحملها كل اصحاب العلم اكيدا وخاصة من انطلقت منه الفكرة العلمية القائلة ان لكل شيء تفسير مادي حسي وان القوانين والرياضيات قادرة على كشف كل شيء بما في ذلك ما لا ندركه والله المستعان على ما يصفون .

---

[1] يشير الشيخ (دامت بركاته) الى قول امير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة عن وصفه لأصناف الناس في كلامه مع كميل بن زياد عليه الرحمة فقال عليه السلام(هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ وَ بَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ انْصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ).

[2] الأنعام٧٩

[3] الرعد٢٢

في بعض الروايات المؤيدة

في الاحتجاج عن امير المؤمنين (عليه السلام)في حديث طويل﴿وَ أَمَّا قَوْلُهُ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ فَالْمُرادُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا دِينَهُ لِأَنَّ مِنَ الْمَحَالِ أَنْ يَهْلِكَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ يَبْقَى الْوَجْهُ هُوَ أَجَلُّ وَ أَعْظَمُ وَ أَكْرَمُ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا يَهْلِكُ مَنْ لَيْسَ مِنْهُ أَ لَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ فَفَصَّلَ بَيْنَ خَلْقِهِ وَ وَجْهِهِ﴾[1] أقول :

١. قوله (عليه السلام)﴿وَإِنَّمَا يَهْلِكُ مَنْ لَيْسَ مِنْهُ﴾

أولا: انها تعني تأكيدا لشدة بقائه وقوة وجوده المتجردة عن كل وجود .

ثانيا: قوله (عليه السلام)﴿وَإِنَّمَا يَهْلِكُ مَنْ لَيْسَ مِنْهُ﴾ ان الهلاك متضمن ومندك في كل ما لا يرجع اليه تبارك وتعالى وجودا وان لا يستمد بقائه منه تبارك وتعالى ولو رجعنا الى ما ذكرناه فأن تقطيع الرؤية الكونية يعني انه ليس منه وبالتالي هلاكه.

[1] الاحتجاج ج١ ص٣٠٧

٢ . قوله (عليه السلام) واستدلاله بقوله تعالى﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ففَصَّلَ بينَ خَلْقِهِ وَ وَجْهِهِ﴾ يظهر منه بعض ما قلناه (يغيب في ظهورها ويظهر بهلاكها) فإذا كان المنهج ليس منه غير راجع اليه فهو هالك بالمرتبة الاولى مولدا لأمر فيه استعداد الهلاك الى ان ينتهي الامر الى الوجه المطلق فلا معنى لبقائها اذا كانت ناظرة لحوادث متعاقبة خاضعة لتدبر كوني شمولي ولا بقاء لها الا برفع التقطيع فيها لتأخذ الطابع الشمولي.

وورد في الكافي بإسناده عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ النَّصْرِيِّ قَالَ﴿سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى(كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) فَقَالَ مَا يَقُولُونَ فِيهِ قُلْتُ يَقُولُونَ يَهْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ لَقَدْ قَالُوا قَوْلًا عَظِيماً إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ ﴾[1] .

---

[1] الكافي ج١ ص ٨٢

أقول :

وقوله (عليه السلام)﴿إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ﴾ يمكن ان يكون اشارة الى اتخاذ منهج يوصل الى الحقيقة.

لا منهج لا تعرف غايته سوى تفسير لحظي لحالة معينة وربما كان قوله(عليه السلام)﴿يُؤْتَى مِنْهُ﴾ اشارة الى الحركة لتنتهي الى الوجه المطلق لا محالة ولو بعد مراحل متعاقبة .

و ورد في البحار عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ النَّصْرِيِّ قَالَ ﴿سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ(عليه السلام) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ قَالَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَ طَرِيقَ الْحَقِّ﴾[1] .

---

[1] بحار الانوار ج٤ باب ٦ ص ٢٥٦

أقول :

قال تعالى ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ﴾[1] فأهم الطرق الموصلة للحق هو الصبر على عدم اتباع المناهج ذات الرؤية الكونية الناقصة وهو حركة الى الوجه المطلق المنتجة للعلم الأشد والأتم .

[1] المائدة٤٨

القاعدة الثالثة

إتساق عناصر القانون بإرجاعها

إلى

حقيقة الوجود وصورته الإنسانية

إتساق عناصر القانون بإرجاعها إلى حقيقة الوجود وصورته الإنسانية

القانون العلمي هو مبدأ كلي عمومي ينطبق على كل الحالات المماثلة في كل زمان ومكان والقانون كفكرة يتكئ في(الادبيات الفلسفية)عادة على الاستقراء الذي يقوم في محتواه على التقدير الصحيح لمعقولية قاعدة علمية او مبدأ علمي ما ونعرف بحسب مرتكزاتنا الذهنية اننا نستطيع ان ننتقل من عدد محدود من الامثلة الى انطباق تلك القاعدة او المبدأ ومن هنا صيغت مشكلة الاستقراء بصورة اوضح وأبسط فنقول:

كيف ننتقل من عدد محدود الى تلك الصيغة الكلية وما المسوغ المتاح لنا ان نحكم مما رأيناه على ما لم نره؟

فنشأ عندهم فكرة ما أسموه بفكرة (الفحص الواعي للوقائع) الذي سوف يتيح تحديد المفاهيم الملائمة وبالتالي اقتراح القواعد او القوانين التي تخضع لها تلك الوقائع.

وكان تعاطي فلسفة العلم مع هذا المفهوم الاستقرائي اما بتقديم محاولات حل ذات اساس فطري او استعمال اسلوب (المقاربة التجريبية)الذي اعتبروه انه يمكن ان يستمر بتواصل عبر اجيال عديدة كما حصل بالمقاربة التجريبية التي صيغت خصائصها في مصطلحات كمية بين قوى تجاذب بين جسمين ضئيلين مشحونين كهربائيا مماثلة جدا لقوى الجاذبية النيوتونية اذ تتناسب عكسيا مع مربع المسافة بين جسمين .

الا ان هذا المقاربة التجريبية لم تتح القدرة على (رؤية) ما تكون عليه الاشياء فهم (بالقطع) لم يفهموا شيئا اذ يمكن القول ان ما توفر لديهم علميا:

١. ثروة من المعارف التجريبية تراكمت عبر اجيال عديدة.
٢. المقاربة التجريبية الناتجة من تماثلات حدسية متماثلة .

الا ان ما توفر علميا لم يحرز تساوق وترابط مكتملين .

وفي تصورنا فأن عدم اكتمال الترابط والتساوق يرجع الى عدة امور منها:

١. ان المبدأ الاول او القاعدة غير منفكة عن مشكلة الاستقراء وان فكرة(الفحص الواعي للوقائع)له درجة من التشكيك قد تتغير بحسب نوع الفحص وقيمة الوعي وماهية الوقائع المدروسة.

٢. ان ثروة المعارف التجريبية قد تختلف تبعا لصحة تجربة ما واخفاق تجربة اخرى لذا فان ثروة المعارف التجريبية تخضع في كل جزء منها على التقدير الصحيح لمعقولية قاعدة علمية او مبدأ علمي.

٣. ان المقاربة التجريبية ترجع الى(الحدس في نظرة تماثلية) فحين اراد(ماكسويل)[١] ان يصف المجال الكهرومغناطيسي استخدم تماثلات مع الهيدروديناميكيا (الخاصة بحركة السوائل) فرجع التقارب الى الحدس

[١] ماكسويل: جيمس ماكسويل (James Clerk Maxwell) تجد ترجمته في آخر الكتاب ص

والتماثل وقراءة الوقائع بحسب الرؤية الحاصلة فكان تأليفا بين تكتيك رياضي وحدس علمي.

٤. ان حالات الاتساق الجزئي قد تدفع بالخيال الى اقصاه لأجل الوصول للاتساق التام .

نتائج الاتساق الجزئي يجعل من بعض الافتراضات ضرورية

فكان الطريق المعرفي الذي صار خطوة تكميلية لمنطقة الفراغ في صراحة الحدس يتدفق بافتراضات من التقارب التجريبي مع تماثلات ناتجة من الخزين التجريبي فاتخذ مسلك اللابدية للوصول الى الاتساق التام وكمثال لذلك افتراض الأثير الذي لم يدم افتراضه طويلا كحل نهائي لمشكلة العلم وما ذلك الا للافتراض والتقارب والتماثل بينه وبين المادة،فهل ما سار عليه الذهن التحليلي للاتساق تام ؟

حتى بعد ان وجد الفكر الانساني نفسه سجين الافتراضات الترقيعية احيانا والايجادية احيانا اخرى.

تحليل المشكلة في تصورنا

ان الاتساق في تصورنا لا يوجد بالخطوات المقترحة بافتراضات من التقارب التجريبي مع تماثلات ناتجة من الخزين التجريبي فهو صورة للموجود بما هو هو بل صورة لمنبع الوجود وما تلك الا مظهرية متسقة منه .

واود هنا ان اذكر امرا هاما بخصوص الاتساق المفترض مفاده:

ان مفهوم الاتساق يبدأ من صورة اولية في الذهنية الانسانية ترجع الى الجمال الموجود في مرتبة قبلية على الخزين التجريبي والتماثل والتقارب وما ذلك الا كون الاتساق الاتم مما تضمن في الوجود الانساني ولا يخفى قيمة هذا المستوى من التفكير فيما لو قمنا بجمع تدبري بين معنى{وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي}[1] وبين ما ذكر بخصوص اسمائه تبارك وتعالى {قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى}[2] فما نعتبره هيئة الاتساق هو التلائم والانسجام بين

[1] الحجر٢٩

[2] الإسراء١١٠

حقيقة الوجود وبين صورة الحقيقة في الانسان﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1] أو قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2] .

وما قام به (جيروم بوش)[3] بفرض بناء نموذجي للأثير (يصفه بعض فلاسفة العلم بانه خيالي تماما) واعتبره بانه شبكة متضامنة من الخيوط المرنة وما ذلك الافتراض الا تطبيق للإتساق الذي ينشده باطن الانسان الذي يرى الإتساق جليا في (المادة الى المادة)لكن لا يراه بل ينفره في (المادة الى الفراغ) وما ذلك الا لرفض محتواه تقبل صياغة قانونية متسقة بين شيء ولا شيء فلابد ان (لا شيء)(شيئا ما)،ولم ينته الامر عند (بوش) بل استمر الى ما بعده وما ذُكر مؤخرا من حاكمية قوى الجاذبية في ايجاد الكون وسطوتها وسيطرتها تطبيقا حيا ومعاصرا لتبني نمطية من الاتساق لا يمكن تبني غيرها.

---

[1] ص٧٥

[2] فصلت٥٣

[3] هيرونيموس بوش(جيروم)(Hieronymus Bosch Jerome)تجد ترجمته في آخر الكتاب ص .

الإنسان واتساق عناصر الوجود الثلاثة

﴿الوحدانية والملك والديمومية﴾

ذكرنا قبل قليل ان هيئة الاتساق هو التلائم بين حقيقة الوجود وبين صورة الحقيقة في الانسان وذكرنا توجيه لذلك بقوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[1] بتقريب ان الحق هو ملائمة صورة الحقيقة في الانسان لحقيقة الوجود وقال تعالى ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2] فظهر أن﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هو اتساق الانسان مع عناصر خاصة بالوجود فقد ورد عن الامام الصادق(عليه السلام) انه قال﴿الحمد ثلاثة أحرف الحاء والميم والدال ، فالحاء من الوحدانية والميم من الملك والدال من الديمومية فمن قال الحمد لله فقد وصف الله بالوحدانية والملك والديمومية﴾[3] ويمكن اعتبار بعض الآيات القرآنية حاكية عن بعض مضامين الرواية قال تعالى﴿الْحَمْدُ

---

[1] فصلت٥٣

[2] الزمر٧٥

[3] تفسير الصراط المستقيم للسيد حسين البروجردي ج٣ ص٣٠١

لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[1] وقال تعالى﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] بتقريب ان السموات والارض تمثل الوجود الممكن وهي متقومة بثلاث عناصر اساسية وحدانيتها باعتبار انها واحدة في جوهرها وان كانت لنا متكثرة وانها مملوكة بالوجدان الحاكمة على وقوعها تحت سطوة قوة مالكة قاهرة تكون منبعا للمتغيرات والحوادث فلا مالكية مستقلة لها فضلا عن مالكية حقيقة لبعضها على بعض وقيمومتها بغيرها يعني ان دوامها متقوم بقوانين عليا ارفع منها.

وبالتدبر ببعض الآيات القرآنية الكريمة يظهر بعض ما ذكرناه وتأييدا لبعض مفاهيم الرواية قال تعالى ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3] فالحمد هو مثالية للجمال (وهو تعبير أدق من الاتساق) مرافقة لصورتين وجودية وعقلية وكلما تجردت الصورتان صارتا اكثر اتساقا وجمالا.

---

[1] الأنعام١

[2] فاطر١

[3] القصص٧٠

ونقدم هنا اطروحة مفادها:

ان صرامة وقوة العلوم الصورية الرياضية التي اوجدت البصر وبصيرة الحدس والمُتزعة للغنيمة اثر الغنيمة هي نتاج تلائم تجردين وجودي بما يسمى (المكاني الرياضي) ذي النكهة الرياضية الحادة وبين ماهية مفاهيمية مجردة ذات صورة رياضية خالصة [١] الا أن الاكتفاء بهذا الشكل من الاتساق لا يعطي النموذج الاتم والاكمل للجمال .

أطروحة النموذج الاتم والاكمل للجمال او الاتساق الفائق

الاستشعار الذهني بحقيقة الوجود مهذب للخيال ومُقوض لضرورة الافتراض،قال الامام السجاد(عليه السلام) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَ الْآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَه﴾[٢] ويُفهم من كلامه (عليه السلام):

---

[١] كان ثمة شعور بكمال وقدسية يبدو وكانه يوعز الينا بان نيته موجودة في عقولنا .

[٢] الصحيفة السجادية من دعائه عليه السلام اذا بدأ بالتحميد لله تعالى.

١ . ان الاتساق والجمال بصورته الاتم هو انعكاس للجمال الاتم والاكمل حقيقة ووجودا.

٢ . ان تلك الحقيقة الاتم والاكمل متنزهة اشد التنزه وقريبة اشد القرب من الوجودات الامكانية ﴿الْأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ﴾ ﴿الْآخِرِ بِلَا آخِرٍ﴾.

٣ . إن تنزهها وقربها هو الباعث لاتساقها قال تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١] .

٤ .ان مفاهيمنا عن الاتساق لا تكتمل ما دام هنالك افتراض لثبات التماثل وان المفهوم الاكمل له كصياغة قانونية تتم بالتثبيت لحقيقة وجودية مطلقة ونفي التماثل لما يقاربها بالحقيقة فالأطروحة التي نقدمها هنا مفادها:

ان الجمال الاتم والاكمل يظهر بنفي التماثل عن الحقيقة الوجودية المطلقة بعد لحاظه فيها مع الوجود الادنى ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

---

[١] الجاثية٣٦

[٢] الزمر٢٩

وقال (عليه السلام) ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ، وَ أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا فِي مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَ تَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ وَ لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1].

أقول:

لعمري لو كان سوى هذه الفقرة من دعائه(عليه السلام) لكان كافيا لتأسيس اصول الاتساق الوجودي الاتم فهل يا ترى إن خزيننا العلمي التجريبي الذي اوجد لنا ذلك الاتساق بين رموز مكافئة ذات نكهة رياضية حادة وبين ماهية مفاهيمية مجردة ذات صورة رياضية ضبطت لنا حدود الانسانية.

الا يجعلنا هذا نعيد النظر بخزيننا التجريبي الا يفترض بنا حين نضع صياغة لقانون ان نُرجع عناصره لحقيقة الوجود وصورته الانسانية.

[1] الصحيفة السجادية من دعائه عليه السلام اذا بدأ بالتحميد لله تعالى .

القاعدة الرابعة

علمنا متوقف

على سعة حقيقتنا الوجودية

علمنا متوقف على سعة حقيقتنا الوجودية

ماذا يعني ان نفهم؟ وكيف نتمكن من الفهم؟

وهذا السؤال ليس سؤالا جديدا او غريبا فهو سؤال يمتد الى عمق الجذور الانسانية .

والبعض اجاب على هذا السؤال:

ان هنا نظرة صادقة وامينة ذات طابع تصوري للعالم،وهنالك من نظر الى العالم انه يختلف اختلافا جوهريا عن ادراكنا اياه والحقيقة ان هذا السؤال وهذا الخطأ في التفكير الانساني وجدا مع الفلسفة(ليس كعلم بل كأسلوب منحصر في التفكير).

وأود هنا ان اقدم عرضا سريعا لأفكار وتأملات انتجت بعض خطوط التفكير للإجابة على سؤال:

كيف نتمكن ان نفهم ؟

فالبعض اقترح ان نحيي العلم وان نشيده من جديد واقترح التأسيس الى فكرة ان الامر الذي يجعلنا ان نفهم ليس رأيا نعتنقه بل عمل ننجزه فحاجة العلوم الملحة الآن انما هي صورة من الاستقراء الذي يقوم بتحليل الخبرة والاضطلاع بها جزءا جزءا وان العلم حتى يحيى سيكون مُعرضا عن حدود البشر الفانين لأنه ليس من المفترض انجازه بأسره كاملا مكتملا في جيل واحد فلزاما على الجيل الآخر ان يواصل المسار.

فالمخطط لصاحب هذا الاتجاه هو الحركة بانتظام وتدرج من بديهية الى اخرى بحيث تصل الى اعم البديهيات في النهاية وهي افكار ذات صورة تحديدية جيده فالنظرة الاولى نظرة حذره اهتمت بعدم قفز النتائج بطريقة فجة .

والاتجاه الآخر للإجابة كيف نتمكن من ان نفهم لم يكن حذرا بل كان واثقا من قدرة العقل وقوته الاستنباطيـــة وان

العقل بقدراته يفوق قدرات الطبيعة فهو نقطة البداية وهو المنهج الكامل الذي يؤدي الى خلق حالة الوضوح في الرؤية .

ويعتقد دعاة هذا المنهج الذي يعتبر العقل والمنطق اقوى خدامنا اذا لم يكونا ساداتنا ان تمكنا من فهم يقوم على اساس تحليل المشكلة الى مشكلات ابسط فتتضاءل الصعوبة حتى يظهر الحل بوضوح وهذا المنهج يعتبر مفيدا جدا لهداية

العقل حين يتدبر في مشكلات الحياة اليومية وربما كان لهذا المنهج التأسيس الواضح لتحليل بعض الصور الطبيعية بطريقة رياضية.

واتجاه آخر يرى أن الفهم يأتي عن طريق الحواس الخمسة او الوعي التأملي وان الاشياء العينية التي تدركها حواس الانسان هي تابعة في أصل افكاره أي في حضور التصورات الأصلية لها.

وخلاصة اعتقاد هذا الاتجاه تنص على الا يكون للروح افكار الا بعد ان تشرع في الادراك الحسي ذلك الادراك الحسي الذي يرتب الافكار بطريقة هرمية ، فحين يحلل العقل الاشياء مثل الحديدة الساخنة الى فكرتين وهي الصلب والساخن فهو يقوم بعملية ربط بين معاني مصطفاة سابقا وكما هو معروف فأن تركيب الادراك الحسي المتكامل يتطلب نطاقات اكبر من المخ وقد سخر العلم الحديث للغور في اعماق الادراك الحسي للمخ بمساعدة الآت تصوير بوزيترونية،ترينا آلة التصوير تلك أي الاجزاء في المخ التي تتنشط وذلك عن طريق تدفق الدم فيها ويمكن بدراسة الرؤية

البصرية ان نربط بين هذه المعطيات وبين الشيء المرئي عن طريق تتبع حركة العين بآلة تصوير فيديو وقد اجريت تجارب من هذا النوع على الحيوانات عن طريق زرع اقطاب في ادمغتها متصلة بالمخ مباشرة تستقبل الاشارات العصبية .

بينت هذه الدراسات كيف تتفاعل اجزاء مختلفة من المخ اعتمادا على خصائص المشهد المطروح امام العيون الخاضعة لدراسة تأثيرات الحركة والتغير في الصورة ومثول الاشكال القابلة للإدراك المعرفي .

ولا تخلوا هذه الاتجاهات من نقاشات حادة في اروقة المجادلات الفلسفية ولا نريد ان نخوض فيها لكن نكتفي بتعليقات سريعة .

ففكرة الاحياء العلمي المتوقف على التحرك بانتظام وتدرجية من بديهية الى اخرى لا تخلوا من حذر واضح قد يكون مبالغا فيه اضف الى عدم تحصيل أي معرفة آنية اذ لا يمكن القفز على النتائج من دون المرور بالبعد الزمني للبديهيات بانتظام وتدرجية.

وان الاتجاه الذي يعتبر الطريق العظيم للفكر هو العقل وهو نقطة البدء التي تفوق الطبيعة نفسها والقائم على تحليل المشكلة الى مشكلات اخرى ابسط فهو عديم الجدوى كسلاح لغزو التساؤلات الكبرى حول وجودنا فهذه الاسئلة الكبرى تمتنع عن التحليل الى عناصرها والاجابة البسيطة عنها ان

كانت فيها بساطة اقرب الى ان تكون مبحثا جديدا من ان تكون محصلة نهائية.

والظاهر ان العلم الحديث المستعين بالتكنلوجيا له اتجاهه المستقل بعيدا عن اروقة الفلسفة بعد اعتباره ان الادراك الحسي عملية بالغة التعقيد حيث يتفكك العالم الخارجي في مبدأ الامر الى سمات عديدة قبل ان يتم تفهم معناه .

وهذه الخاصية التحليلية للإدراك الحسي والتي تبدأ بتفكيك الصورة قبل الشروع في تركيبها ويظهر من بعض كلماتهم ان المسالة لم تحسم وفق المناهج الفلسفية او المناهج السايكلوجية حتى ظهرت دعوات بالانتظار للإجابة على هذا السؤال.

ومسوغ الانتظار هو التريث الى ان تصل المعرفة الانسانية الى فهم مكتمل للمخ البشري وبالتالي تستطيع ان تضع الاساس الحق للفلسفة.

ولا اريد هنا ان أضع البديل القرآني والمفاهيم الاسلامية من باب العرض بطريقة ميتافيزقية مجردة بقدر ما نحاول ان نعيد قراءة المفاهيم الغيبية للعلم بطريقة تنسجم مع مفاهيمنا المعاصرة قال تعالى ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[1] والآية نفت تحقق العلم من ذات الانسان ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا﴾ لذا فلا معنى لاعتباره منبعا له وبوابة له كما ذكر البعض .

وما يمكن ان نحلله هنا ان القوى الحسية هي المسيطرة على التصور الاولي وسلطانها الوهم وهي لها درجة من الادراك الجزئي كالخوف والعداء كهروب الفريسة من الصياد وهذا الادراك ان قلنا انه من الحواس فهو مباين لها وان قلنا ان مصدره القوى الناطقة فالإدراك المتحقق جزئي والقوى الناطقة داركة للكليات.

[1] البقرة٣٢

وتوجد آيات اخرى في كتاب الله تعالى ارجعت العلم الى التحقق الوجودي في ذوات خاصة ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[1] وفي قوله تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[2] والتدبر في قوله تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ يَقُولُونَ ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ يدل على ان العلم من سنخ الايمان وما الايمان الحاصل الا لقوة الحقيقة في نفوسهم غير بعد الهمم وغوص الفطن وتؤيده رواية عن امير المؤمنين(عليه السلام)﴿وَحَارَ فِي مَلَكُوتِهِ عَمِيقَاتُ مَذَاهِبِ التَّفْكِيرِ وَ انْقَطَعَ دُونَ الرُّسُوخِ فِي عِلْمِهِ جَوَامِعُ التَّفْسِيرِ وَحَالَ دُونَ غَيْبِهِ الْمَكْنُونِ حُجُبٌ مِنَ الْغُيُوبِ تَاهَتْ فِي أَدْنَى أَدَانِيهَا طَامِحَاتُ الْعُقُولِ فِي لَطِيفَاتِ الْأُمُورِ فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَ لَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ﴾[3] بتقريب ان معرفته تعالى هي الايمان وقيمته العليا.

---

[1] البقرة٢٤٧

[2] آل عمران٧

[3] الكافي ج١ باب جوامع التوحيد

وآيات اخرى ذكرت ان الوجود والعلم واحد فكل وجود وجه من العلم ولكن بقدر ظرفيته ووعاء وجوده قال تعالى ﴿وَسعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾[1] وقال تعالى ﴿وَسعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[2] وقال تعالى ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾[3] ويظهر منها ان حقيقة العلم ترجع الى حقيقة الوجود وكلما كان الشيء اشد تجرد وجودي صار اشد علما قال الامام الرضا (عليه السلام)﴿إِنَّمَا يَكُونُ الْمَعْلَمَةُ بِالشَّيْءِ لِنَفْيِ خِلَافِهِ وَ لِيَكُونَ الشَّيْءُ نَفْسُهُ بِمَا نُفِيَ عَنْهُ مَوْجُوداً وَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ يُخَالِفُهُ فَتَدْعُوهُ الْحَاجَةُ إِلَى نَفْيِ ذَلِكَ الشَّيْءِ عَنْ نَفْسِهِ بِتَحْدِيدِ مَا عَلِمَ مِنْهَا﴾[4] .

---

[1] الأنعام٨٠

[2] الأعراف٨٩

[3] طه٩٨

[4] بحار الانوار ج ١٠ باب ١٩ مناظرات علي بن موسى الرضا عليه السلام

وقد يكون العلم متحقق بسعة وجودية طارئة فتغيره بحسب ما يحدث من صفات فيها قال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾[1] .

فيظهر ان العلم يتبع المعلوم بحسب سعته الوجودية وربما هذا ما حدا فلاسفة العلم ان يتخذوا مشارب واتجاهات مختلفة للسؤال المهم :**كيف نفهم؟**

فمن قال بالخبرات المتراكمة او فكرة الاحياء العظيم وان علينا الا نتبع رأي بقدر ما علينا ان ننجز .

اراد سعة وجودية كبيرة تمتد الى اجيال من البشر، ومن دعى الى مبدأ التعقل وانه اوسع من الطبيعة والتعاطي مع كل مشكلة الى حلول ابسط نشأ من التعاطي مع المبدأ العقلي انه اوسع موجود متحقق والادراك الحسي الذي يرتب الاشياء بطريقة هرمية هو الاوسع من الناحية الوجودية بلحاظ سعة ربطه بين معاني مصطفاة سابقا.

[1] محمد٣١

وكأمر عملي نذكر رواية للإمام الصادق(عليه السلام)نافعة في تأسيس علمي دقيق لما تحيروا فيه قال(عليه السلام)﴿وان الصورة الانسانية اكبر حجة لله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجموع صور العالمين وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ وهي الشاهد على كل غائب وهي الحجة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم الى كل خير وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار﴾[1] وهذه الرواية جامعة لكل ما ذكرناه في الآيات القرآنية السابقة وخلاصة افكارها .

ان العلم المقذوف في قلب الانسان﴿العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء﴾[2] هو السعة الوجودية تتغير بالصبر والمجاهدة والعبادة أكمل فعل سلوكي لتغيرها ﴿فَاطْلُبْ أَوَّلًا فِي نَفْسِكَ حَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ وَ اطْلُبِ الْعِلْمَ بِاسْتِعْمَالِهِ وَ اسْتَفْهِمِ اللَّهَ يُفْهِمْكَ﴾[3] وتلك الصورة مختصر العلوم التي في اللوح المحفوظ ولا نقصد بها مجرد العقل ولا الخبرة ولا الذهن ولا

---

[1] جامع السعادات ج١ ص ٢٢٤ التفكر في خلقة الانسان

[2] بحار الانوار ج١ باب ٧ ص١٨٤

[3] بحار الأنوار ج ١ باب ٧ آداب طلب العلم وأحكامه

الادراك الحسي فقط بقدر ما هي النظرة الشمولية لذلك الموجود الانساني سعة في عالمه الامري الواقعي.

وعليه يمكن اعتبار ما ورد في القران العظيم بعد ضمه الى مضامين روائية ان مفهوم الكتاب قد ينفع لحل عقد المشكلة قال تعالى ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾[1] ولا داعي لقبول فكرة الانتظار لمعرفة تطور الذهن البشري فقد وصل الانبياء (عليهم السلام) في حقب بعيدة في جذور النشأة الوجودية الى كمال العقل وشمول الرؤية وتمام العلم ولا داعي لما يقوله بعض فلاسفتهم (انه من المبكر جدا الاجابة عن هذا السؤال كيف نفهم الا بعد استكناه سائر المكتشفات العلمية الحديثة لا سيما قوانين عوالم الكوانتم).

هذا آخر ما كتبته في القسم الاول بسبب تدهور حالة والدتي الصحية في ١٢ رمضان لسنة ١٤٣٣.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

[1] الجاثية٢٩

ترجمة الشخصيات

١. ماكسويل: جيمس ماكسويل (James Clerk Maxwell) عالم فيزياء بريطاني شهير لما أسهم به من معادلات هامة التي تفسر ظهور الموجات الكهرومغناطيسية. ولد في سنة ١٨٣١ في مدينة ادنبره بإسكتلندا وكان شديد الاهتمام بالفيزياء و قد تخرج من جامعة كمبردج و عمل مدرسا بها وهو أول من توصل الى معادلة بين المغناطيس والكهرباء ووضح الفعل ورد الفعل ومعدلاته بسيطة وشاملة واشار الى عدم محدودية الموجات وأن سرعتها ٣٠٠٠٠٠ ك م/ث وهي سرعة الضوء وأشار الى وجود موجات اخرى وهذا ما توصل اليه هيرتز واستخدمها ماركوني في الراديو ومعادلات ماكسويل هي أساس البصريات توفي في سنة ١٨٧٩. ومن ابرز مكتشفاته مع مايكل فاراداي الموجات الكهرومغناطيسية (Electromagnetic Waves) تتكون عادة من موجتين مجال كهربائي عمودي على مجال مغناطيسي و الموجات الكهرومغناطيسية هي أساس عمل أجهزة الراديو و التلفزيون.

٢. جيروم بوش: هيرونيموس بوش(جيروم)(Hieronymus Bosch Jerome) رسام هولندي من عصر الباروك ولد عام ١٤٦٠ في بلدة هورتوجينبوش الهولندية التي قضى فيها جل حياته، وأعطته اسمها. وقد توفي فيها في شهر آب من العام ١٥١٦ عرف عنه أن جده ووالده كانا رسامين، جاء ذكره في كتب التاريخ على انه عضو في أخوية السيدة مريم وهذا ما يفسر مصدر إلهامه. أشتهر بوش برسم الموضوعات الخيالية الغريبة،وصفه كارل غوستاف يونغ محقاً (بسيد الرهبة، ومكتشف اللاوعي) وأيضاً اطلق علية سيد بشع ومكتشف العقل الباطن. فنّ بوش يعكس العادات الغامضة للعصور الوسطى ويعتبر أفخم رسّام لوقته.

٣. فييرابند: ولد في فيينا ١٩٢٤ وتوفي عام ١٩٩٤ تقلد مناصب علمية عديدة وعمل في اماكن كثيره منها مينابولس(Minneapolis)و ويل(Yale) بالولايات المتحدة و أوكلاند بنيوزيلندا وبرلين ولندن وكسل(Kassl)بألمانيا وظل يشغل منصب استاذ الفلسفة بجامعة بركلي بالولايات المتحدة ومعهد(ETH) بزيورخ بسويسرا في نفس الوقت حيث ظل

يدرس بالجامعتين صيفا وشتاء من عام ١٩٨٠ وحتى تقاعده علم ١٩٩٠ .

اكتسب شهرته الاولى المبكرة عن اعماله في فلسفة الفيزياء خاصة ميكانيكا الكم وكان واحد من اوائل الفلاسفة المحترفين الذين عالجوا مفهوم التتمة عند بور(Bohr's notion of complementarity)ولم يهتم كثيرا في بدايات دراساته بتاريخ العلم وانا اهتم ببعض المشكلات التقليدية من قبيل التمييز بين الحدود النظرية وحدود الملاحظات ومشكلة العقل والجسم ومشكلة امكان صياغة المذهب الأمبريقي بصورة متسقة .

اهم بحث له في تلك الفترة هو المقال الذي نشر له عام ١٩٦٢ تحدث فيه عن مفهوم اللاقياسية (incommensurability) والذي استخدمه للرد على اصحاب النزعة الردية (reductionism) التي سادت انذآك بين فلاسفة العلم .

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. الصحيفة السجادية الامام زين العابدين عليه السلام

٣. الكافي العلامة الكليني

٤. بحار الانوار العلامة المجلسي

٥. تفسير الصراط المستقيم السيد البروجردي

٦. جامع السعادات الشيخ النراقي

٧. الفتاوي الواضحة السيد محمد باقر الصدر

٨. مجموعة مقالات السيد الطباطبائي

٩. فلسفة الكوانتم رولان اومنيس

الفهرس

تم بحمد الله